مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد الثامن ،العدد الأول أكتوبر ،2022 ص- ص:786-813

أبناء وادي مزاب الجزائريين ومساهمتهم في الحزب الدستوري الحرّ التونسي

The Algerian people of Oued M'zab and their contribution in the Tunisian Free Constitutional Party

د. الكاملة فرحات(*)
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي/الجزائر
ferhat-kamla@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 27 /2022/07 **تاريخ القبول:** 22 /2022/09 **تاريخ النشر:** 11 /2022/09

الملخص

بحثنا يتعلق بالدور الذي لعبه أبناء وادي مزاب الجزائريين في الحزب الدستوري الحر التونسي إبان الاستعمار الفرنسي للمغرب العربي خلال فترة العشرينات من القرن الماضي، وقد تكلمنا فيه عن أسباب التقارب التونسي الجزائري والذي كان نتيجة الهجرة إلى البلد الشقيق تونس بسبب معاناة الجزائريين من بطش المستعمر وتنكيله بهم، وفي طيات ذلك عرجنا على ظروف التقارب بين المزابيين الجزائريين والحزب الدستوري التونسي، ثم ذكرنا أهم المساهمات التي قام بها أبناء ميزاب في نشاطات الحزب الدستوري والدعم الذي قدموه للشيخ عبد العزيز الثعالبي وللحزب، وفي هذا السياق نوهنا بجهود بعض الشخصيات المزابية البارزة مثل جهود المناضل صالح بن يحي، والشيخ أبي اليقظان، والشيخ إبراهيم اطفيش، وفي نفس السياق بينا موقف السلطات الاستعمارية من رؤوس الحركة المزابية الناشطة في الحزب الدستوري التونسي، وفي الأخير توصلنا لنتيجة مفادها أن الالتحام الذي حدث بين أبناء مزاب وعلمائها وبين الحزب الدستوري التونسي يؤكد فشل السياسة الاستعمارية في عزل أقطار المغرب العربي عن بعضها البعض.

الكلمات الدالة: الحزب؛ الدستوري؛ وادي مزاب؛ النضال؛ علماء؛ السياسة الاستعمارية.

Abstrac:

Our discussion relates to the role that the Algerian people of the M'zab Valley played in the Tunisian Free Constitutional Party during the French colonization of the Maghreb during the twenties of the lastcentury. In so doing, we tackled the reasons for the Tunisian-Algerian rapprochement, which was the result of immigration to Tunisia because of the suffering of Algerians from the oppression and abuse of the colonialist. Moreover, we looked at the conditions of rapprochement between the Algerian Mozabitesand the Tunisian Constitutional Party, and then we mentioned the most important contributions made bythe

* **المؤلف المرسل**

sons of M'zab in the activities of the Constitutional Party and the support they provided to Sheikh Abdel Aziz Al-Tha'albi and the party, and in this context we praised the efforts of some prominent Mozabite figures such as those of the fighter Saleh Bin Yahya, Sheikh Abi Al Yaqdhan and Sheikh Ibrahim Tfayyesh. In the same context, we explained the colonial authorities 'position towards the headsof the Mozabite movement active in the Tunisian Constitutional Party. Finally, we have have come to the conclusion that the fusion which occurred between the people of M'zab and its scholars and the Tunisian Constitutional Party confirms the failure of the colonial policy in his attempt to isolate the countries of the Maghreb from each other.

Keywords: Party, Constitutional, Mizab Valley, militants, scholars, colonialist policy.

1. مقدمة:

تعتبر دراسة العلاقات القائمة بين أقطار المغرب العربي في ظل الاحتلال الفرنسي من أهم المواضيع التي لا تزال بحاجة للدراسة وشيء من التعمق، وذلك بحكم الهيمنة الاستعمارية التي عاشتها المنطقة المغاربية تحت قبضة المحتل الفرنسي الذي حاول فيها فرض سيطرته على جميع المجالات بما في ذلك محاولة إنهاء علاقات التواصل القائمة بين شعوب المنطقة، والقضاء على أي محاولة من شأنها الحفاظ على اللحمة المغاربية، ورغم كل المحاولات والمجهودات التي قام بها المحتل الفرنسي لعرقلة تلك العلاقات لم تمنع من وجود علاقات التقارب والعمل المشترك بين دول المغرب العربي، وقد تعزز ذلك أكثر في فترة العمل السياسي خاصة بين الجانبين التونسي والجزائري، فبمجرد تأسيس الحزب الدستوري انخرط فيه الكثير من أبناء الجزائر الذين هاجروا إلى تونس؛ سواء للدراسة أو هاجروا هروبا من مضايقات الاستعمار، وكان من بين الجزائريين الذين انخرطوا وبقوة في الحزب الحر الدستوري التونسي أبناء وادي ميزاب، ولهذا وسمنا فكرة بحثنا بالعنوان التالي: " أبناء وادي مزاب الجزائريين ومساهمتهم في الحزب الحر الدستوري التونسي".

وفي بحثنا سنعالج إشكاليته المتمثلة في معرفة مدى مساهمة أبناء وادي ميزاب في نشاط الحزب الدستوري خلال فترة العشرينات؟.

2. بدايات التقارب التونسي الجزائري

بعد وقوع أقطار المغرب العربي تحت قبضة الاحتلال الفرنسي خاصة الجزائر وتونس فَتُرَ التواصل بين البلدين فيما بعد سنة 1881م، وذلك نظرا للإجراءات المشددة المتبعة من قبل الاحتلال الفرنسي على مستوى الحدود وترسيمها[1]، إلاَّ أن ذلك لم يمنع من وجود علاقات بين الطرفين تعززت أكثر خلال فترة الحركة الوطنية. وأمام الضيم الكبير الذي عانى منه الجزائريون ما كان أمامهم سوى الهجرة إلى البلد الشقيق تونس، وكانت تلك الهجرة في شكل بعثات جماعية منتظمة تارة وفردية مطلقة الحرية تارة أخرى[2]، لأنه من الوجهة الدينية اعتبر الجزائريون تواجدهم في ظل فرنسا الكافرة معهم أمرا غير مقبول ولذلك هجروا البلاد للعيش في كنف دولة مسلمة، وكان ذلك قبل احتلال تونس[3]، كما ساهمت عمليات قمع المقاومة الجزائرية في اخضاع الشعب وما تبعها من مصادرة للأراضي في إجبارهم على النزوح خارجا نحو تونس أو غيرها[4]، وكان من بين المهاجرين الجزائريين طلبة العلم الذين وصلوا إلى تونس في شكل بعثات علمية لإكمال المشوار الدراسي، وبذلك بدأت المدارس التونسية تستقطب أنظار الطلبة الجزائريين، وبالدرجة الأولى جامع الزيتونة الذي كان في طليعة استقبال الطلائع الأولى من الطلبة المهاجرين الجزائريين[5]. ومع الزمن توسع حضورهم وامتد إلى المشاركة في النشاط الوطني والسياسي والمساعدة على بعث الأحزاب الوطنية في تونس[6]، على الرغم من ارتباط النخبة الجزائرية بأصولها الوطنية، إلَّا أنها تمكنت من الاندماج الكامل في تونس لدرجة أنهم شكلوا معا مجموعة سياسية موحدة ومتماسكة[7]، وذلك نابع من شعورهم بالانتماء لهذا القطر الشقيق، وبحكم الروابط التي تربطهم بتونس، فهم لا يرون أنفسهم أنهم غرباء فيها، بل اعتبروها الوطن الثاني لهم، ولذلك نجد إسهاماتهم في الحياة السياسية متعددة ومتنوعة[8] خاصة في فترة العشرينات وخاصة مع تعزز التوجه السياسي للجزائريين بعد أحداث الحرب العالمية الأولى واطلاعهم على أساليب العمل السياسي والنقابي لاسيما ضمن النشاط اليساري للأحزاب الشيوعية[9]، إذ ساهم جانب منهم في مؤازرة الحركة الوطنية في تونس، وذلك بقصد تحقيق غايتين أساسيتين وهما: أولهما مقاومة الاستعمار الفرنسي في إطار حركة وطنية معترف بها من قبل السلطات ذاتها بتكتيل الجهود لمضايقته، وثانيهما يتمثل في تحويل هذه الحركة الوطنية المتمثلة في الحزب

الدستوري التونسي[10] إلى حركة مغربية يتاح من خلالها لأبناء الشمال الإفريقي دفع جهودهم متضامنة لنصرة باقي الأقطار التي ترزخ تحت نفس الاستعمار وتخوض نفس المعركة[11]، والمضي قدما في تحسين مصيرهم[12]. كما أن الظروف الخاصة بالمهاجرين الجزائريين المتواجدين بتونس لم تكن تسمح لهم بمزاولة أي عمل سياسي مباشر لمعارضة سياسة فرنسا، ولذا فكروا في الالتحام بالأحزاب الوطنية التونسية، والانضواء تحت لوائها، لمكافحة المستعمر، وإيجاد نقطة انطلاق للتصدي لخططه التي تُنفذ في كلا البلدين بأساليب مختلفة[13].

وتطبيقا لهذه الخطة أقبل عدد من الجزائريين المقيمين بتونس[14] على الانخراط في الحزب الدستوري التونسي منذ الوهلة الأولى في شهر ماي 1920م، وانبعثت عن مؤتمراته الأولى لجان تنفيذية تضم في عضويتها ثلة من الجزائريين إلى جانب الوطنيين التونسيين[15]، منهم ثلاثة مزابيين على رأس اللجنة التنفيذية لهذا الحزب السياسي الأول في تونس، وهذا يخبرنا عن الوجود المبكر للجزائريين المنحدرين من الجنوب في الحركة الوطنية التونسية[16].

وتوالى تدعيم الحزب خلال اجتماعاته ولقاءاته المتعاقبة بالعناصر الجزائرية، سواء منها من كان جزائري المولد والنشأة كإبراهيم أطفيش أو من كان له أصول جزائرية قريبة العهد استوطن آباؤه تونس أثناء الهجرة الناجمة عن الاستعمار أمثال عبد العزيز الثعالبي وحسن قلاتي وأحمد توفيق المدني، إضافة إلى العناصر الجزائرية الأخرى التي كانت تنتسب إلى أصول جزائرية أوغل في التاريخ والهجرة مثل علي بوشوشة رائد الصحافة التونسية[17].

ويعود هذا الإقبال الجزائري على الانخراط في الحزب الدستوري لعوامل شتى منها: الحرمان الذي فرضته الهجرة على الجزائريين من خلال بعدهم عن وطنهم الأم ما منعهم من أي نشاط سياسي يفجرون فيه طاقاتهم المناهضة للمحتل الفرنسي مع ابراز قدراتهم التنظيمية، لو أتيحت لهم الفرصة بالبقاء داخل وطنهم والعمل السياسي فيه[18]. لكن فظاعة الاحتلال فرضت عليهم عدم وجود حزب جزائري في مثل هذه الظروف[19].

هذا، فقد اعتبر الجزائريون قضية الحزب الحر الدستوري التونسي قضيتهم وانتصارها هو انتصارهم، فاندفعوا للعمل فيه كناشطين سياسيين ضمن تراتبية الحزب كمناضلين، وكذا قادة،

ليدعموه بجهودهم السياسية من خلال متابعة القضايا الوطنية وكذا القطرية العربية الإسلامية، وكذا العالمية وشرحها لعموم الشعب التونسي في اللقاءات والندوات لتوضيح رؤيا الواقع المحيط بهم داخليا وخارجيا. أما دعمهم المالي فكان نقديا لأجل تغطية أنشطة الحزب ومتطلباته، وعن الدعم الفكري فقد كان من خلال الكتابة الصحافية في المجلات والجرائد، وهذا كله بهدف استقلال القطرين التونسي والجزائري[20].

فقد تجلى النشاط السياسي للجزائريين خاصة المزابيين بشكل رئيسي من خلال الاجتماعات والتجمعات وطباعة المنشورات وتوزيع الصحف، وجمع الاشتراكات، ووجد أولئك النشطاء في الصحافة التونسية مساحة لممارسة السياسة وركيزة دعاية لمناهضة للاستعمار وقادرة على إحياء وتعزيز ثقافة النضال الوطني، بإظهار انتماء الجزائريين إلى حزب سياسي[21].

ولأن أهداف الحزب الدستوري البعيدة المدى تتمثل في تخليص البلاد من قبضة الاستعمار واسترجاع الحقوق والحريات، وهذا ما عملت عليه النخبة الجزائرية المنضوية داخل الحزب مع النخبة التونسية في وضع دستور يضمن للشعب التونسي حكمه الذاتي وتسيير شؤونه بنفسه[22].

ولم يقتصر نضال الجزائريين على الجانب السياسي في الحزب الدستوري فقط، بل تعداه إلى التغطية المالية بجمع التبرعات والأموال بشكل أو أخر، وذلك باعتبار أن أجهزة الحزب ومناضليه كانوا بحاجة مالية حتى يتمكنوا من ممارسة النشاط الحزبي[23]. وشاركوا في تمويل الحزب الدستوري جزائريون كثيرون بأموالهم، وقرنوا مصيرهم بمصير الحزب الحر الدستوري التونسي، وضموا نشاطهم لنشاطه وأموالهم لأمواله، وكل انتماءاتهم تدل بوضوح على اتجاههم الوحدوي العربي الإسلامي[24].

3. ظروف التقارب بين المزابيين والحزب الدستوري التونسي

وبظهور الحزب الحر الدستوري في تونس انجذب إليه الكثير من أبناء وادي مزاب[25] الجزائريين وتحمسوا له، فدعموه ماديا ومعنويا، ويرجع ذلك للوضع السياسي الذي يميز منطقة وادي مزاب[26]، ويقول توفيق المدني عن هذا الانجذاب: «وذلك أنهم درجوا على التأكيد بأن

وادي مزاب بلاد حماية لا بلاد استعمار، وأنهم يطالبون باحترام معاهدة الحماية[27] التي جندوا لها كما تطالب تونس باحترام معاهدة الحماية التي أرغموا عليها»[28]. وأن قضية وادي مزاب من الناحية هي نفس قضية تونس وإحراز تونس على حقها يفتح الباب لإحراز مزاب على ما ضمنته لها المعاهدة[29].

وتعد مشاركة المزابيين الجزائريين في الحياة السياسية التونسية من أبرز مظاهر الإسهامات التي قاموا بها في تونس. حيث شاركوا منذ بداية العمل السري النضالي للشيخ عبد العزيز الثعالبي[30]، وكانوا عضده المتين في كل نشاطاته سواء بالمشاركة الميدانية أو بالمساهمات المادية المقدمة للحزب. وكان المزابيون الجزائريون يعتبرون القضية التونسية من بين قضاياهم ويعترف بهذا الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بذلك فيقول: "أنهم كانوا مخلصين في صفوف الحزب، يعملون للوطن، ولا يطمعون لنيل منصب أو لمنفعة ذاتية"[31].

فكانوا ينصرون الثعالبي في حركته وكان من خاصيته من أهل وادي مزاب الشيوخ: أبو اسحاق إبراهيم أطفيش وابراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان ومُحَمَّد الثميني وأحمد قزريط ويوسف بن بكير والسيد الحاج عمر بن الحاج مُحَمَّد بوحجام والسيد ناصر ملالي وغيرهم، كانوا كلهم طلبة بالزيتونة عند ذلك الوقت، وتعرف دارهم في تونس بدار البعثة المزابية[32] والتي يرأسها الشيخ أبو اليقظان، والتي كانت مقصد الشيخ الثعالبي يجالس فيها الطلبة الجزائريين، لأن الثعالبي كان يعلق أماله الكبيرة للمغرب العربي على الطلبة الجزائريين، فعندما نشأ الحزب الدستوري عين الشيخ إبراهيم أطفيش عضوا إداريا فيه أما أبو اليقظان[33] فعين عضوا في لجنة الدعاية له[34].

4. نماذج عن مساهمة أبناء وادي مزاب الجزائريين في نشاطات الحزب الدستوري

1.4. صالح بن يحي:

فإذا تحدثنا عن الدعم المزابي للشيخ عبد العزيز الثعالبي وحزبه، فسوف يكون في المرتبة الأولى من هؤلاء وبدون منازع الشيخ صالح بن يحي[35] الذي كان بمثابة السند المتين للشيخ الثعالبي، والداعم الأول للحزب الدستوري بالمال[36].

ويقول الجابري في كتابه "النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس" أن الشيخ صالح بن يحي وصل إلى تونس في سنة 1917م مع بعثة طلبة وادي ميزاب، وبعد إنهاء دراسته بالزيتونة اشتغل بالتجارة[37]، وتعرف في تلك الفترة بالشيخ عبد العزيز الثعالبي وسرعان ما توثقت بينهما أواصر التعرف والود فأشركه الثعالبي في الدعوة إلى مناصرة الحزب الدستوري، والترشح لعضوية لجنته المركزية لما لمس فيه من الحمية والإخلاص والاستعداد السياسي[38].

فعندما اجتمعت النخبة المؤسسة للحزب الدستوري التونسي قبل الإعلان عنه في 5 فيفري 1920م، واتفقت على برنامج سياسي تضمن المطالب الأساسية للحزب، كان الشيخ صالح بن يحي أحد أقطاب الحزب متفائلا ببرنامجه، فراسل الشيخ الثعالبي يوم 6 فيفري 1920م لطلب رأيه وليشرح له فكرة تكوين مجلس منتخب انتخابا عاما تكون فيه الأغلبية للتونسيين ليُسيروا شؤونهم حسب إرادتهم[39].

وبهذا يعتبر صالح بن يحي من المؤسسين للحزب وعضوا رئيسيا في اللجنة التنفيذية لإدارته، حيث كان يؤمن أنه إذا استقلت تونس ونالت حقوقها، فلابد أن تستقل الجزائر وتنال كل الحقوق، وهذا ما جعله متحمسا للعمل في إطار الحزب الدستوري، وكان لا يبخل بجهد ولا مال في جهاد حزب الدستور لاستقلال تونس وحريتها، لدرجة أنه أنفق أمواله الطائلة على الحزب وكذا في مساعدة الشيخ الثعالبي حتى افتقر[40].

حتى أن بعض المؤرخين ذهبوا لأكثر من ذلك فارجعوا إلى صالح بن يحي الفضل الأول في استمرار الحزب، فلولا الشيخ صالح ما استمر الحزب الدستوري الحر وما صال الشيخ الثعالبي صولته في ميادينه السياسية والاجتماعية، وكان يتمنى أن تتقوى الحركة الوطنية في تونس فتفيض إلى الجزائر والمغرب فتكون الأقطار الثلاثة تونس والجزائر والمغرب جبهة واحدة ضد الاستعمار فتنال استقلالها، هذا هو أمله[41].

ومن الناحية العملية لا يمكن إنكار الدور الكبير الذي قام به صالح بن يحي لمؤازرة الحزب، فبذل مجهودات جبارة في سبيل استمرار نشاطه وتغطية نفقاته، حيث ذكر صالح بن يحي أن داره في سوق الغلة بتونس كانت بمثابة نادي ومركز إدارة للحزب الدستوري، وكان

نشاطه بالحزب الدستوري من مؤسس إلى عضو في الحل من إدارة الحزب واللجنة التنفيذية ولجنة الدعاية والمالية، وكان مصدر أساسي في تمويل الحزب[42]، فهو من المقربين جدا من الشيخ الثعالبي ويثق به كل الثقة، ويختاره لكثير من مهمات الحزب الشاقة فيقوم بها أحسن قيام[43].وكثيرا ما وفق الشيخ صالح بن يحي في جمع المال للحزب، واستخدم كل صلاته الوثيقة بزملائه التجار لما كان يشتهر به بينهم من الصدق والنزاهة الوطنية[44].

ومما يذكره الشيخ إبراهيم أطفيش[45] عن جهود الشيخ صالح بن يحي في سبيل مؤازرة الحزب ودعمه هو رحلته التي قام بها إلى الجزائر في سنة 1920م لجمع المال من التجار الجزائريين، ودعم ميزانية الحزب قائلا عنه: "إن الشيخ صالح بن يحي قام بجولة سنة 1920م في الجزائر فجمع من التجار الجزائريين ثمانين ألف فرنك تبرعوا بها للحزب الدستوري. وهي وأمثالها من تبرعات المزابيين المتصلة للحزب، هي التي مكنت الشيخ الثعالبي من السفر إلى فرنسا للتعريف بقضية تونس"[46].

وكان صالح بن يحي تاجر بالجملة والتفصيل في الأقمشة والبضائع التونسية، وكانت تجارته رائجة وكانت له سيارة، وكان يقوم في أنحاء الجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها برحلات تجارية يتستر بها، فيتصل بالمثقفين وبالجماهير ويهزهم للنهوض ويدعوهم لمساعدة حزب الدستور، وقد جمع مرارا الكثير من الأموال الطائلة من التجار المزابيين في الجزائر ومدَّ بها حزب الدستور[47].

ولم يكتف الحزب الدستوري بالاعتماد على مشاركة الشعب التونسي المالية والمعنوية، بل تعداها إلى جمع التبرعات من الشعب الجزائري[48]. ويؤكد تقرير للمخابرات الفرنسية مؤرخ يوم 27 مارس 1922م، أنه ابتداء من سنة 1922م تشكلت لجنة سياسية في مزاب، برئاسة سليمان بن عيسى قائد "بني يزقن" وقاضيها أحمد بن الحاج حمو بدر، أرسلت هذه اللجنة ثلاث تجار إلى سوق أهراس ليكونوا همزة وصل بين تونس ومزاب ودعاة للحزب الحر الدستوري التونسي، وجمع التبرعات التي تصل إلى قائد "بني يزقن" وقاضيها، فيرسلها بدوره إلى الشيخ

صالح بن يحي عضو اللجنة التنفيذية للحزب، حيث جمع في هذه السنة وحدها 226 ألف فرنك[49].

كما استعمل المزابيون في الجزائر الخدعة والتمويه في جمع المال للحزب الدستوري منها المبالغ التي كانت تجمع للحزب تحت إنجاز المشاريع الخيرية، حيث كشفت وثيقة صادرة عن ممثل الحاكم العام بالجزائر عن تحركات بعض الجزائريين وجمعهم للمال بحجة بناء مسجد للمزابيين، بينما المبالغ المالية المجموعة تم وضعها في خزينة الحزب الحر الدستوري، ومن الأشخاص الذين أشرفوا على عملية جمع الأموال هما: باعلي صالح بن باعلي إبراهيم الطفيش وبمساعدة الشيخ مُحَّد صالح بن يحي المقيمين بتونس، وقد كشفت الجهات الأمنية الفرنسية عن مبلغ 23 ألف فرنك فرنسي تم إيداعه في خزينة الحزب الحر الدستوري[50].

كما يقول إبراهيم اطفيش عن صالح بن يحي ودعمه للحزب: "كان يمد حزب الدستور كلما احتاج إلى المال في أخر كل شهر، وكان التونسيون يثقون به ثقة كاملة، وقد أنفق أمواله الطائلة عن الحزب، وتشاغل عن تجارته في جهاده السياسي فمات فقيرا"[51].

وتوفى صالح بن يحي بتونس سنة 1948م، وكان يجمع الاشتراكات والتبرعات من البلاد التونسية ويسافر إلى بلاد ميزاب يجمع الأموال الطائلة لخزينة الحزب مرارا، وكان يمد الثعالبي بالمال من كيسه الخاص كل أخر شهر ليعينه على جهاده السياسي التحرري[52].

ويذكر الشيخ إبراهيم بيوض[53] تعليقا على تلك التبرعات التي كان يمدها صالح بن يحي للثعالبي، أنه رأى صورة كاريكاتورية في إحدى الجرائد التونسية في العشرينيات صورة الشيخ عبد العزيز الثعالبي والشيخ صالح بن يحي يصب في فمه كيسا من الدنانير، وكتبوا تحت الصورة: "زدني من حلالك وحرامك وزقومك يا صالح"[54].

2.4. أبو اليقظان:

ومن أهم الشخصيات المزابية الجزائرية التي انضوت داخل الحزب الدستوري التونسي وكان لها نشاط بارز نذكر الشيخ أبو اليقظان رئيس البعثة الطلابية المزابية في تونس، والذي انضم قبل تأسيس الحزب الدستوري إلى جمعية فدائية تحررية أسسها الشيخ الثعالبي سنة

1917م، ثم انضم للحزب وبرز نشاطه في الدعاية للحزب داخل تونس وفي الجزائر، كما تصدى للمعارضين للحزب، وعن ذلك يقول مُحَّد علي دبوز حدثني الشيخ أبو اليقظان رحمه الله قال:" في أخر الحرب العالمية الأولى في سنة 1917م أنشأ الشيخ عبد العزيز الثعالبي في تونس جمعية سرية فدائية غرضها إحداث حركة تحررية في المغرب الكبير كله ... وله فروع في الجزائر وليبيا والمغرب الأقصى، وفي تونس كان رئيسها الثعالبي ومعه خمسة أعضاء. والجمعية تتركب من ستة، ... وكان للشيخ بن صالح بن يحي فرع المزابيين في تونس يتركب من ستة: أبو اليقظان والشيخ يوسف بن بكير، والشيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلاء، والناصر بن صالح ملالي، وأحمد بن الحاج إبراهيم بن كاسي، وعمر بن مُحَّد بوحجام. وكان لنا جلسة في كل أسبوع تحت رئاسة الشيخ صالح، وكنا لا نعرف غيره من أعضاء اللجنة الأصلية، كان هو صلتنا بها، ينقل إلينا أوامرها... ألغيت هذه الجمعيات السرية، فتأسست على أنقاضها في تونس اللجنة التنفيذية، ثم حزب الدستور"[55].

وعن الجمعية السرية التي ذكرها أبو اليقظان والتي كشف أمرها من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية وجاء ذلك في تقرير حاكم الجزائر العام إلى المقيم العام الفرنسي بتونس في نهاية سنة 1920م، أن الجزائريون كانوا ملتفين حول جمعية دينية تعمل على الدعاية لاستقلال القطرين التونسي والجزائري معا، وهم كلهم ثقة بأن كل المستعمرات الفرنسية ستنال استقلالها عن طريق هذه الجمعية، وقد أكد هذا التقرير أن جهود هذه الجمعية كانت موجهة إلى تدعيم الحزب الحر الدستوري التونسي، وهي تنظيم الاشتراكات وتجمع التبرعات لنشر دعايته، وتمويل بعثاته إلى باريس للمطالبة بالدستور، وكذلك لسد مصاريف قضية الشيخ عبد العزيز الثعالبي[56].

ويذكر أبو اليقظان عن دوره في الحزب الدستوري ووظيفته فيه فيقول: «.. وكنت أنا (أبو اليقظان) عضوا في لجنة الدعاية، فكنت أقوم بالدعوة للحزب وأشرح مبادئه لمن أتصل بهم من الإخوان، وفي رسائلي الكثيرة إلى إخواني الكثيرين في أنحاء الجزائر»[57]. حيث كان الشيخ أبو اليقظان يبث الدعاية لحزب الدستور على صفحات جرائده[58] في تونس والجزائر مع الشيخ

أبي إسحاق إبراهيم اطفيش[59]، ولقد استمر نشاطه بتونس في الفترة الممتدة من 1917م إلى 1923م[60]، وقال الشيخ أبو اليقظان: «.. وكنت وصحبي كبار تلاميذ البعثة الشيخ إبراهيم اطفيش، والشيخ يوسف بن بكير، والشيخ مُحَمَّد التميني، وعمر بن الحاج مُحَمَّد بوحجام وغيرهم، كنا على اتصال وثيق بالشيخ عبد العزيز الثعالبي، نجتمع به دائما إما في مركز حزب الدستور في نهج انقلترا بتونس العاصمة، أو في داره في حلق الوادي، أو في دار الشيخ صالح بن يحي، أو في دار بعثتنا»[61].

ويقول أيضا:«.. واستمرت علاقتي وعلاقة البعثة المزابية وثيقة بالشيخ الثعالبي حتى هاجر إلى المشرق ..في عام 1923م، وقبل مغادرته تونس خطب في دار بعثتنا في الطلبة المزابيين كلهم خطابا حارا أودعه أماله في البعثة ونهضة الجزائر المباركة»[62].

وعن علاقته القوية مع أعضاء الحزب البارزين قال أبو اليقظان: "وكنت وكبار الطلبة في البعثة المزابية على صداقة قوية مع بعض أعضاء اللجنة التنفيذية البارزين: أحمد الصافي، ومُحَمَّد الرياحي، وصالح فرحات، ومحي الدين القليبي، وأحمد توفيق المدني، وغيرهم، واستمر عملنا في حزب الدستور نؤيده بكل ما نستطيع، إلى أن وقع استقراري في الجزائر لما نشأت المطبعة العربية في عام 1931. ومع ذلك ظلت الصداقة بيننا على أتمها"[63].

وعن موقف أبو اليقظان والبعثة المزابية اتجاه أعداء الحزب الدستوري في تونس فيقول أبو اليقظان: "وقد قطعت صلتي القوية بالشيخ الشاذلي المرالى وصداقتي التامة له وفعل ذلك زملائي كبار الطلبة في البعثة لما أظهر العداء للشيخ الثعالبي وحزب الدستور، وصار يهاجمه في الصحف هو والطيب بن عيسى[64]. وأخرجنا جميع التلاميذ المزابيين من مدرسته، مدرسة السلام، وقطعنا العون المادي عنه، فأفلست مدرسته لما تخلينا عنه فأغلقها. وكان الشيخ إبراهيم اطفيش معي عضوا في حزب الدستور، وكان شديدا صارما مع أعداء حزب الدستور والشيخ الثعالبي، الشاذلي المرالى، والطيب بن عيسى، يحاربهم في عنف وشدة، فكتبوا فيه التقارير إلى المقيم العام الفرنسي في تونس، فكانوا من أسباب نفيه منها، وقد حزنت لفراقها، وحزن الشيخ الثعالبي واللجنة التنفيذية لابتعادي عنهم"[65].

وفعلا فإن أبو اليقظان كان أحد المشايعين للحزب الحر الدستوري التونسي، ونصيرا من أنصاره الأوفياء بالقلم والجهد، ولم يتقلد مثل زميله اطفيش وابن يحي خططا تنفيذية في لجنته المركزية، مكتفيا في هذا المجال بتقديم الخدمات الممكنة لزعمائه، وتعزيز مواقفهم شعرا ونثرا ودعم آرائهم دعما معنويا[66].

3.4. إبراهيم اطفيش:

أما عن دخول الشيخ إبراهيم اطفيش في الحزب الدستوري فيقول: "لما سافرت إلى تونس عام 1917 لإتمام دراستي العالية في الجامعة الزيتونية، كان الشيخ الثعالبي والشيخ صالح بن يحي وصحبهما في جهادهم السياسي الكبير، ولكن يعملون في الخفاء، ولما أنشئوا جمعيتهم السرية التي كانت مقدمة لحزب الدستور دعاني الشيخ صالح بن يحي إلى الدخول فيها، فامتنعت خوفا من أن تشغلني عن دراستي في الجامعة الزيتونية ... فألح علي الشيخ صالح وألزمني بالدخول في الجمعية السرية، ففعلت. ولما نشأ حزب الدستور بعد ذلك في عام 1920 كنت عضوا عاملا فيه. وكنت أحضر بعض جلساته الإدارية، .. فنشطت نشاطا كبيرا في مؤازرة الحزب"[67]. ويقول أيضا:".. وفي بعض الجلسات الإدارية للحزب التي حضرتها بدعوى من الشيخ الثعالبي وأطلعوني على بعض الخطط السرية المهمة، خالفت الشيخ الثعالبي في بعض أرائه، وناقشته مناقشة حادة"[68].

ومن أهم الأدوار التي قام بها اطفيش وخدم بها الحزب الدستوري التونسي هو دور الوساطة بين الشيخ الثعالبي والأمير خالد في الجزائر فيقول:"... وقد أرسلني الشيخ الثعالبي ثلاث مرات في مهمات سرية إلى الجزائر. وذلك أن حركة الأمير خالد السياسية في الجزائر قد نشأت في عام 1919... فأرسلني إليه الشيخ الثعالبي ليربط صله حزب الدستور بحركته السياسية، ... وكان الشيخ الثعالبي حريصا على ربط الصلة بهذه الحركة الجزائرية الناشطة التي يقودها الأمير خالد. ويرى أن اتحاد المغرب الكبير وتوحيد خطته في الجهاد السياسي ضروري لنجاحه، فأرسلني إلى الأمير مرة ثانية في عام 1920 ومرة ثالثة فعرضت عليه الاتحاد مع حزب الدستور فأبى"[69].

ولم يقتصر دور اطفيش عن دور الوساطة بين الثعالبي والأمير بل تعداه إلى دور الدعاية للحزب في الجزائر وعن ذلك قال: "... وكنت أبث الدعاية لحزب الدستور في الجزائر كلما سافرت إليها"[70].

كما لم يتأخر أبناء وادي ميزاب الجزائريين عن الدعم المالي للحزب الدستوري خاصة عندما يكون في حاجة ماسة لهم، حيث ذكر ذلك الشيخ إبراهيم اطفيش فقال: "ووقع الحزب مرة في ضائقة مالية كبيرة، فأسرعت إلى الجزائر فجمعت من المصلحين المزابيين في مدينة قالمة وسوق أهراس عشرين ألف فرنك أسرعت بها إلى حزب الدستور ففرجت ضائقته"[71].

ولما تعرض اطفيش للطرد من طرف السلطات الاستعمارية وانتقل إلى مصر لم يتوقف عن خدمة الحزب الدستوري والدعاية له بل انتهز الفرصة واستمر يعرف بالحزب في مصر، ونقلا عن مُحَمَّد علي دبوز فيقول: "ودامت صلتي بالشيخ عبد العزيز الثعالبي وصحبه أعضاء اللجنة التنفيذية لما هاجرت إلى مصر وأقمت بها. وكنت أُعرِّفُ في مصر بحزب الدستور وجهاده"[72].

وهكذا فإن أهم ما تولد عن التضامن التونسي الجزائري هو الحزب الحر الدستوري الذي ضم في تشكيلته ثلة من التونسيين والجزائريين الذي أدوا قسما سريا كما يذكر الشيخ أبو اليقظان في مذكراته على أن يكون هدفهم تحرير المغرب العربي[73].

وبفعل النشاط المكثف للحزب الدستوري فإن شعبيته قد ازدادت في تونس، حتى أنه في تصريحات الثعالبي: إن الهدف الأساسي هو دمج عناصر شمال إفريقيا في الحزب، وأن أفكار الحزب أصبح لها وزنا لدى الأهالي الجزائريين ومنهم المزابيين، وأصبح له قاعدة صداقة في الجزائر... يعتمد عليها في جمع التبرعات للحزب[74].لأن الجزائريون كانوا يعتبرون الحزب الدستوري حزبهم أيضا[75].

لقد توالى تدعيم الحزب الدستوري في سائر مؤتمراته ولقاءاته المتعاقبة بالعناصر الجزائرية المولد والجنسية من أبناء وادي ميزاب أمثال: الشيخ إبراهيم اطفيش، والشيخ صالح بن يحي،

وإبراهيم ابن الحاج عيسى أبو اليقظان[76]. فلقد ساهموا في تأييد الحزب الدستوري وكانوا من أعضائه وشاركوا في إدارته وتبنوا أفكاره ودعوا له في الجزائر وساندوه بالأموال[77].

ويذكر الشيخ أبو اليقظان أن الثعالبي قال: " لولا المزابيون الذين يمدونني بالمال ما استطعت أن أمكث في باريس أكثر من أربعة أشهر، ولكنني بفضلهم مكثت عاما وأربعة أشهر.."[78].

ومن خلال هذه الأسماء السالفة الذكر يظهر أن المزابيين كانوا رواد هذا النشاط السياسي بمجموعة من الأشخاص الذين كانوا جميعا نشطين في إطار الحزب الدستوري التونسي القديم[79].

5. موقف الإدارة الفرنسية

وعن موقف السلطات الاستعمارية الفرنسية من رؤوس الحركة المزابية الناشطة في الحزب الدستوري التونسي حيث كانت تترصد وتتربص بكل تحركات العناصر الجزائرية داخل الحزب الدستوري، وتتحين الفرص حتى عثرت على الحجج الملائمة التي أقنعتها بوجوب تسديد ضربة قوية لكل العناصر الجزائرية التي انضوت تحت لواء الحزب الدستوري التونسي، والعمل على إبعادها وتشريدها شرقا وغربا الواحد تلو الأخر، وتطبيقا لخطة صارمة تنتجه تجاه الجزائريين، شرعت السلطات في إعداد المرحلة الأولى من هذا المخطط، وتتمثل في ضرب رؤوس الحركة المزابية بالذات والتي كانت متعاطفة كل التعاطف مع اتجاه الحزب، والتي كان بعض أفرادها يشكلون أركانا أساسية في هذه الحركة عملا وقولا[80].

وكي تبين السلطات الاستعمارية أنها قادرة على العقاب بادرت إلى الانتقام من رأس الحركة المزابية وعمدة الطلبة وأحد الأقطاب السياسيين الذين اشتهروا بالعناد والتحريض على العصيان، والتباهي بالانتماء للحزب، وهو الشيخ إبراهيم اطفيش، وأصدرت قرارا بإبعاده عن تونس بتهمة التواطؤ مع الحزب الدستوري التونسي، وحشر أنفه في الأمور التونسية البحتة وهو الجزائري الجنسية[81].

وتعمدت هذا الفعل وهو ضرب الزعيم الأوفر شعبية بين أبناء جلدته لردع الآخرين وتخويفهم، وتظهر لهم أن فرنسا قادرة على الحسم، ومستعدة للدفاع عن نفسها وسلطتها بكل الوسائل، وهكذا أصدر ديوان المحافظة (الشرطة) قرارا بأمر من المقيم العام موجها لإبراهيم اطفيش مضمونه: "إن الحكومة الفرنسية تدعوك للكف عن كل حركة عدائية، واختر لنفسك أي بلد شئت خارج حدود هذا التراب"[82].

وأثناء قرار الإبعاد وقعت حادثة بينه وبين الوكيل حيث طلبوا منه أن يذكر أنه يحب فرنسا وسوف يُلغون قرار النفي، ولكن الشيخ إبراهيم اطفيش رد عليهم بقوله: "الحب محله القلب فكيف أجرؤ على جرح وإدماء قلبي"، ولقد ألح عليه عدد من أعضاء الحزب في قولها حتى لا يتم إبعاده ولكنه رفض، ولقد كان هذا القرار الجائر في حق الشيخ، مضرة جلبت وراءها منفعة، حيث أصبح يُعرف بالحزب في مصر، وبالحركات الوطنية في المغرب عامة[83].

وبموجب ذلك القرار الصادر عن إدارة محافظة أمن العاصمة التونسية غادر الشيخ إبراهيم اطفيش تونس وتوجه نحو القاهرة بعد أن منع من دخول الجزائر[84].

وبذلك يعتبر اطفيش أول المبعدين من الدستوريين سنة 1923م، ولعدة شهور خاضت الصحافة التونسية في قضية إبعاده، ويوم صدر قرار المقيم العام بتونس لوسيان سان بإبعاد اطفيش كتبت الصحيفة الاستعمارية "تونس الفرنسية" ما يلي: "وكان اطفيش يحظى لدى الثعالبي بتقدير كبير، وما لبث أن أصبح يسند إليه مهام لا تسند إلاَّ لمن حظي بثقته، لكن السلطات استطاعت أن تضع حدا لتصرفات هذا الشخص الماكر"[85].

وذكر الشيخ إبراهيم اطفيش عن نفيه جراء نشاطه في الحزب فقال: « لقد كنا نُعد العمل في حزب الدستور جهادا في سبيل الله، وعملا للجزائر أيضا، وواجبا نؤديه إلى تونس التي أحبتنا وأحببناها. وكان حماسي وحماس الطلبة الكبار النبغاء لحزب الدستور عظيما، فاتجهت إليَّ أنظار أعداء الحزب في تونس فسددوا إليَّ سهامهم، ووشوا بي إلى الفرنسيين في تونس فنفوني منها»[86].

وتوالت بعدئذ قرارات الإبعاد الصادرة بحق الجزائريين المنخرطين في عضوية الحزب الدستوري ممن كان لهم نشاط بارز فيه، لأن السلطة الاستعمارية كانت تتابع تطور العلاقة بين التونسيين والجزائريين، بل وضعتها تحت مجهر الرقابة الصارمة، وظلت تترصد المواقف المواتية لفصل العناصر الجزائرية عنصرا عنصرا، وانتحال الأسباب والأعذار الواهية لإرجاعهم إلى بلادهم حيث يسهل عليها مراقبتهم، وبذلك تتمكن من اجتثاث الروافد الهامة للحزب الدستوري، وحرمانه من عناصر فاعلة فيه، وتقليص حجمه، وحجب تطلعاته المغربية[87].

ولم تمض سوى مدة قصيرة حتى تمكن الاستعمار من توجيه ضربة ثانية إلى أبناء المجموعة الميزابية الجزائريين في تونس، وذلك بتجميد نشاط صالح بن يحي الذي كان عضوا بارزا في اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري التونسي، وكان بحكم تأثيره المعنوي على أبناء الجنوب الجزائري، وصلاته الحميمة بالتجار التونسيين ملاذ الحزب في الأزمات المالية، ورسوله إلى التجار والمتبرعين[88].

ولقد تعرض صالح بن يحي للاعتقال بتهمة التآمر على أمن الدولة الفرنسية سنة 1920م، وسجن في تونس مع الثعالبي والشيخ مُحَمَّد الرياحي بعد الدعاية القوية التي خاضها الثعالبي في إطار الحزب الدستوري والمطالبة بالحقوق في جل الميادين، ولم يتم الإفراج عنهم إلاَّ بعد انقضاء مدة 9 أشهر[89].

ونظرا لمكانته في تونس يقول الشيخ أبو اليقظان عن يوم خروج صالح بن يحي من السجن: «.. كان يوم خروجهما عيدا عظيما لتونس. فأسرعت الوفود من أنحاء تونس كلها تهنئ الشيخ صالح، وكانت داره تعج بالزوار من مختلف الطبقات...»[90].

ولم تتوقف المضايقات للشيخ صالح بن يحي حيث أمرت السلطات الاستعمارية بتفتيش بيته مع أعضاء آخرين في الحزب الدستوري، عندها أجرى البوليس يوم 20 جوان 1921م عمليات التفتيش بحجة أنه كان مع وفد الأربعين[91] الذين استقبلهم الباي مُحَمَّد منصف في قصره دون علم السلطات الفرنسية بذلك[92].

كل ذلك لأن الاستعمار الفرنسي تفطن إلى الأهداف التي يسعى إليها الجزائريين المنخرطين في الحزب الدستوري، فضرب بقسوة العناصر الجزائرية التي تسربت إلى خلايا وإدارة الحزب، وطوح بمعظمهم نفيا بدعوى إعادتهم إلى وطنهم الجزائر، وإفراغ الحزب من محتواه المغربي[93].

هذا، وقد حافظ المزابيون الجزائريون على ولائهم لتوجيهات الثعالبي، وظلوا وفيين للحزب الدستوري التونسي طيلة مدة تواجدهم بتونس وحتى بعد طردهم ونفيهم منها[94].

6. الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة يتبين لنا مدى الدور المحوري الذي لعبه أبناء بني ميزاب في دعم الحزب الدستوري التونسي، فلا يمكن للباحث هنا إغفال الدعم الذي قدمه المزابيون للحزب سواء من الناحية الجماهرية أو من الناحية المالية. فمن الناحية الجماهرية كون أبناء ميزاب قاعدة جماهيرية لا بأس بها حيث انخرط العديد منهم في خلاياه وأكثر من ذلك كان الشيخ صالح بن يحي أحد أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب، أما من الناحية المالية فقد شكل أبناء ميزاب رافد مهم في توفير الدعم المالي للحزب، فأصبحوا يشكلون مصدر هام لتوفير الأموال لفائدة الحزب.

إن الالتحام الذي حدث بين أبناء ميزاب وعلمائها وبين الحزب الدستوري التونسي يؤكد فشل السياسة الاستعمارية في عزل أقطار المغرب العربي عن بعضها. فرغم كل العراقيل التي وضعت أمامهم تمكن الشعب التونسي والجزائري من الحفاظ على علاقات التآزر بين البلدين.

إن روح التضامن المغاربي كانت حاضرة وبقوة في العمل السياسي المشترك ضمن نضالهم ضدّ التواجد الفرنسي وممارساته القمعية، وجلاء هذه الروح يبرز بالحضور الكبير للجزائريين خاصة المزابيين ضمن النشاط السياسي للحركة الوطنية التونسية، وصولا إلى مساهمتهم في تكوين أول إطار سياسي لذلك النشاط ألا وهو الحزب الدستوري، بل الأمر تعدّى أن يكون استمرار الحزب قائما على دعمهم المالي، علاوة عن دورهم الفاعل في توسيع عضوية الحزب

وجماهيريته المحلية والعربية والعالمية، يحذوهم في ذلك الأمل في أن يكون الحزب عنوان استقلال تونس، والجزائر، والمغرب العربي قاطبة، صورة دعمهم الجليّة جرّت عليهم تسلّط الإدارة الفرنسية ومتابعتهم بشتّى الوسائل.

7. قائمة المراجع:

- خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900 – 1939م، ط 2، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013م.
- مُحَمَّد بوطيبي: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900 – 1930، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة – الجزائر، 2012م.
- فارس العيد: علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس (1848 – 1930م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ والمعاصر، اشراف: حمدادو بن عمر، كلية العلوم الإنسانية وكلية العلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2016 – 2017م.
- الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956، ط 2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة –تونس.
- علي الزيدي: الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904 إلى 1945، تقديم: عبد الجليل التميمي، ط 1، دار نهى، صفاقص، 2007م.
- مُحَمَّد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 – 1962، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
- علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط 1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948م.

- مُحَمَّد بلقاسم: وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، ج 1، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م.

- يوسف مناصرية: دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دار هومة، الجزائر، 2013م.

- أحمد بن جابو: المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830 – 1954)، أطروحة مقدمة لكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: يوسف مناصرية، قسم التاريخ والآثار، جامعة لأبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010 – 2011م.

- يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2017م.

- مُحَمَّد السعيد عقيب: الحزب الحر الدستوري القديم 1934 – 1956م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: حباسي شاوش، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2009 – 2010م.

- عبد القادر عزام عوادي: هجرة بني مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة 1881 – 1956، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية – الجزائر، مارس 2018م.

- مريم سيد علي مبارك: أعلام الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2012م.

- مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1978م.

- مُحَمَّد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013م.

- عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م.

– حمو محمّد عيسى النوري: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الأول، المجلد الثاني.

– يمينة بن رحال: الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى وقضايا عصره (1306هـ – 1888م) (1393هـ – 1973م)، دار الإرشاد، 2013م.

– خير الدين شترة: المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

– مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، ط 1، ج 2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2008م.

المراجع الأجنبية:

- jamal haggui: Les Algériens originaires du Sud dans la ville de Tunis pendant l'époque coloniale, 1881-1956: Mozabites, Souafas et Ouarglias; sous la direction de Habib Kazdaghli, mémoire de DEA en histoire contemporaine, université de manouba, faculté des tettre de manoba, Département d'histoire 2004.
- M.jean –jacques Rager: les Musulmans Algériens en France et dans les pays Islamiques, les Bellés letters, paris, 1950.
- Jacques Simon: L'immigration Algérienne en France des origines a l'independance, paris, mediterranceé, france, 2000.

8. هوامش:

1 – خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900 – 1939م، ط 2، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2013م، ص 5.

[2] – خير الدين شترة: مرجع سابق، ص 5.

[3]- M.jean – jacques Rager: les Musulmans Algériens en France et dans les pays Islamiques, les Bellés letters, paris, 1950, p 10.

[4]- Jacques Simon: L'immigration Algérienne en France des origines a l'independance, paris, mediterranceé, france, 2000, p 25.

5 – مُحَمَّد بوطيبي: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900 – 1930، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة – الجزائر، 2012م، ص 32.

6 – خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية، مرجع سابق، ص 5.

7 - jamel haggui: Les Algériens originaires du Sud dans la ville de Tunis pendant l'époque coloniale, 1881-1956: Mozabites, Souafas et Ouarglias; sous la direction de Habib Kazdaghli, mémoire de DEA en histoire contemporaine, université de manouba, faculté des tettre de manoba, Département d'histoire 2004,p 133.

8 – فارس العيد: علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس (1848 – 1930م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ والمعاصر، إشراف: حمدادو بن عمر، كلية العلوم الإنسانية وكلية العلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2016 – 2017م، ص 208.

9- Jacques Simon: op – cit, p p 89 - 90.

10 – **الحزب الحر الدستوري التونسي**: تأسس في 14 مارس 1920م بتونس ولم يتم الإعلان عنه إلاَّ يوم انعقاد مؤتمره الثاني في 3 جوان 1920م برئاسة عبد العزيز الثعالبي، وهو حزب سياسي كان يطالب بالحقوق التونسية التي ألغتها سلطة الحماية الفرنسية. في إطار دستور وطني تونسي ويطمح إلى استقلالية تونس من نظام الحماية الفرنسية، كما طالب بتأسيس حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب التونسي، وشكل هذا الحزب شعب وفروع انتشرت في كامل التراب التونسي، وعمل على بث الدعوة في نفوس المواطنين ورص صفوفهم ليكوا أداة الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي. ينظر: علي الزيدي: الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904 إلى 1945، تقديم: عبد الجليل التميمي، دار نهى، صفاقص، 2007م، ط 1، ص 271. وينظر: أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مذكرات، الجزء 1، المجلد الأول، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 8. وينظر: الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 – 1956، ط 2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة – تونس، ص 55.

11 – مُحَمَّد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 – 1962، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 219.

12 - jamel haggui: op- cit, p 133

13 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 264.

[14] - بلغ عدد المهاجرين الجزائريين بتونس سنة 1936م حوالي 12 ألف مهاجر، منهم 765 من بني مزاب منجذبين بالوضع السياسي والفكري الذي كانت تتمتع به تونس عكس ما هو في الجزائر. ينظر:

M.jean – jacques Rager: op- cit, p 15.

15 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 265.

[16] - jamel haggui: op- cit, p 133.

17 – مُحَمَّد بلقاسم: وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910- 1954، ج 1، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م، ص 216 – 217.

18 – مُحَمَّد بلقاسم: مرجع سابق، ص 217.

19 – مُحَمَّد بوطيبي: مرجع سابق، ص 90.

20 – يوسف مناصرية: دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دار هومة، الجزائر، 2013م، ص 102.

[21] - jamel haggui: op- cit, p 135 – 136.

22 – الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 55.

23 – مُحَمَّد بوطيبي: مرجع سابق، ص 91.

24 – يوسف مناصرية: مرجع سابق، ص 103.

25- **مزاب**: وهي بلاد الشبكة التي تقع على بعد 600كلم جنوب العاصمة الجزائرية، وقد شيد المزابيون عدة مدن بقيت منها سبع وهي: العطف- بنورة – غرداية- مليكة- بني يسجن – القرارة – بريان.

وتختلف المصادر التاريخية والأعراف اللسانية في نطق كلمة مِزَابْ، فقالوا: مْزَابْ، مُزَابْ، مُصْعَبْ، نْزَابْ، والأرجح حسب ابن خلدون أن أصل التسمية مُصَابْ نسبة لبني مُصَابْ من بني واسين، وهم الذين سكنوا المنطقة وأصلهم من قبائل زناتة البربرية من شعوب بني بادين كثير العدد، وإزدادوا تفرعا من أولاده الأربعة: بنو مُصَابْ، بنو توجين، بنو زردال، بنو عبد الواد، ومن ثمة فإن بني مزاب هم أبناء بادين بن مُحَمَّد بن زرخيك (زهيق) بن واسين بن أدين بن جانا، وهذا الأخير هو الجد الأعلى لقبيلة زناتة البربرية. ينظر: مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، ط 1، ج 2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2008م، ص 951.

26 – أحمد بن جابو: المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830 – 1954)، أطروحة مقدمة لكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: يوسف مناصرية، قسم التاريخ والآثار، جامعة لأبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010 – 2011م، ص 222.

27 – **معاهدة الحماية**: وقعت بين فرنسا والمزابيون في الجزائر في 22 أفريل 1853م تعهدت فيها فرنسا لبني ميزاب بحفظ بلادهم واحترام معتقداتهم وصيانة عوائدهم، وأن لا تتدخل مطلقا في أمور داخلية المزاب. ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2017م، ص 98 – 99.

28 – أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 219.

29 – مُحَّد بلقاسم: مرجع سابق، ص 218.

30 – **عبد العزيز الثعالبي 1874 – 1944م**: أصله جزائري ولد بتونس، وتولى جده عبد الرحمان رعايته وتنشئته حيث ألحقه بالكتاب، ثم أتم الدراسة الأولية في البيت، ثم دخل مدرسة باب السويقة الابتدائية بتونس، والتحق بعدها بجامع الزيتونة، وفي سنة 1895م أسس جريدة "سبل الرشاد" وكتب في العديد من الجرائد التونسية، زار العديد من البلدان ثم عاد إلى تونس سنة 1912م، والتحق بحزب تونس الفتاة، وساهم بدور كبير في إنشاء الحزب الحر الدستوري التونسي ليكون على رأسه بعد إصدار المطالب التي تضمنها كتاب "تونس الشهيدة"، وقاد الحركة الوطنية التونسية حتى سنة 1923م حيث أقدمت فرنسا على إجراءات انكمش بسببها نشاط الدستوريين واضطر معها الثعالبي للهجرة، حيث طاف بالعديد من الدول، ولم يعد إلى تونس حتى سنة 1937م، وقد وجد الحزب منشقا فحاول جمع الدستوريين دون جدوى، فساند الدستور القديم وظل وفيا لمبادئ الحزب حتى وافته المنية في أكتوبر 1944م. ينظر: مُحَّد السعيد عقيب: الحزب الحر الدستوري القديم 1934 – 1956م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: حباسي شاوش، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2009 – 2010م، ص 22.

31 – عبد القادر عزام عوادي: هجرة بني مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة 1881 – 1956، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية – الجزائر، مارس 2018م، ص 182.

32 – كان وادي مزاب أسبق إلى إرسال البعثات العلمية المنظمة إلى تونس، حيث بلغ تلاميذه في تونس بعد الحرب العالمية الأولى المئات، الكثير منهم في الزيتونة، وكان لهم ثلاث ديار كبيرة لسكنى التلاميذ برؤسائها. ينظر: خير الدين شترة: المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 373.

33 – **الشيخ إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان 1888 – 1973م**: ولد بمدينة القرارة بوادي ميزاب، حفظ القران ثم أخذ في تعلم الفنون من عربية وشرعية علي يد أستاذه عمر بن يحي ودرس علي يد الشيخ طفيش الحاج مُحَّد بن يوسف في مدين بني يسجن، ثم ساف إلى تونس لمواصلة دراسته في جامع الزيتونة عام 1912م ثم الخلدونية. وفي سنة 1914م ترأس أول بعثة علمية جزائرية إلى تونس. وفي سنة 1920م كان عضوا بارزا في الحزب الحر الدستوري التونسي، أصدر ثماني جرائد في الفترة الممتدة ما بين 1926 – 1938م، وفي سنة 1931 انضم إلى جمعية العلماء المسلمين وأسس المطبعة العربية، نشر عدة مقالات في عدة جرائد بالجزائر وتونس والقاهرة زيادة إلى جرائده، وتفرغ للتأليف بعد انقطاعه عن الصحافة وترك أكثر من ستين مؤلفا بين كتاب ورسالة عدا المقالات والأشعار والمذكرات منها: "ديوان أبي اليقظان" و "إرشاد الحائرين". ينظر: مريم سيد علي مبارك: أعلام الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2012م، ص 56 – 57.

34 – مُحَّد بلقاسم: مرجع سابق، ص 219.

35 – **بن عيسى صالح بن يحي توفى 1948م**: عالم إباضي ولد ببني يزقن في ميزاب، أخذ عن يوسف اطفيش وغيره، رحل إلى تونس ضمن البعثة العلمية الثانية سنة 1917م، وأتم دراسته بالزيتونة، ثم استقر بتونس للتجارة، ويعتبر من المؤسسين للحزب الحر الدستوري التونسي. ينظر: خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية، مرجع سابق، ص 333.

36 – عبد القادر عزام عوادي: مرجع سابق، ص 184.

37- المزابية يتميزون عن غيرهم من المهاجرين بعدم الاشتغال بالمهام الشاقة، وإنما أغلبهم عبارة عن تجار، يتميزون بالتدين وعدم ارتياد المقاهي، وفي نظامهم الحياتي بيوتهم بسيطة ومرتبة ولديهم مشرف يراقب سلوكهم الأخلاقي والديني، ولهم صندوق للتبرعات يساهم فيه الجميع حسب قدراتهم وهو مخصص للإغاثة في حال وقوع نازلة بأحدهم. ينظر:

M.jean – jacques Rager: op- cit , pp 27 – 28.

38 – مُحَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 274.

39 – أحمد بن جابو: مرجع سابق، ص 222.

40 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، ط 1، 1978م، ص 229 – 230.

41 – مُحَمَّد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013م، ص 44.

42 – فارس العيد: مرجع سابق، ص 217.

43 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، ص 232.

44 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 274.

45 – **إبراهيم اطفيش 1888 – 1965م**: من كبار علماء الجنوب الجزائري، ومن الذين لهم شأن يذكر علميا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، عالم وأديب، كرس حياته خدمة في سبيل وحدة المسلمين وإصلاح أمورهم، تنقل بين بني يزقن في وادي ميزاب التي ولد بها وتونس والقاهرة، بذل مجهوداته ومساعيه من أجل النهوض بالأمة، وفي سنة 1917م انطلقت من وادي ميزاب أول بعثة علمية مزابية نحو تونس للدراسة بالزيتونة، بقيادته، وضمت هذه البعثة صفوة الأدباء والكتاب والشعراء والسياسيين أمثال: أبي اليقظان والشيخ صالح بن يحي وشاعر الحركة الوطنية الجزائرية مفدي زكريا، والأديب الكاتب عبد العزيز الثميني، ومُحَمَّد علي دبوز وغيرهم. ينظر: عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م، ص 68 – 69.

46 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 274 – 275.

47 – مُحَمَّد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 2، ص 44.

48 – يوسف مناصرية: مرجع سابق، ص 100.

49 – يوسف بن بكير الحاج سعيد: مرجع سابق، ص 173.

50 – مُحَمَّد بوطيبي: مرجع سابق، ص 93 – 94.

51 – خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية، مرجع سابق، ص 109.

52 – حمو مُحَمَّد عيسى النوري: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الأول، ص 416.

53 – **إبراهيم بيوض بن عمر 1920 – 1981م**: ولد بالقرارة سنة 1920م، تزعم الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري وهو ابن العشرين سنة، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين كما ساهم في تأسيس معهد الحياة الثانوي بالقرارة سنة 1925م، ومن أهم أثاره: "تفسير القران الكريم" وهو عمل أعطاه كل جهده قرابة خمسين عاما. ينظر: خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية، مرجع سابق، ص 316.

54 – عبد القادر عزام عوادي: مرجع سابق، ص 185.

55 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، مرجع سابق، ص 241.

56 – يوسف مناصرية: مرجع سابق، ص، ص 102، 104.

57 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، مرجع سابق، ص 234.

58 – وهي وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، ثم النور، النبراس، البستان، الأمة، الفرقان. ينظر: حمو مُحَمَّد عيسى النوري: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الثاني، ص 84.

59 – حمو مُحَمَّد عيسى النوري: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الثاني، ص 85.

60 – يمينة بن رحال: الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى وقضايا عصره (1306هـ – 1888م) (1393هـ – 1973م)، دار الإرشاد، 2013م، ص 190.

61 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، ص 238

62 – مُحَمَّد علي دبوز: نفسه، ص 234.

63 – نفسه، ص 234 – 235.

64 – **الطيب بن عيسى 1885 – 1965م**: أصله جزائري، ولد بتونس، ودرس بالزيتونة، وساهم منذ نشأته المبكرة في تحرير عدد من الصحف بتونس منها: الرشيدية والصواب، كما أنشأ سنة 1911م جريدة المشير ثم الوزير سنة 1920م، وكان عضوا بارزا في الحزب الدستوري القديم والجديد. ينظر: خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية، مرجع سابق، ص 332 – 333.

65 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، ص 235.

66 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 308 – 309.

67 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، ص 235.

68 – المرجع نفسه، الجزء 3، ص 236.

69 – المرجع نفسه، الجزء 3، ص ص 235 – 236

70 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، ص 236.

71 – مُحَمَّد علي دبوز: نفسه، ص 236.

72 – نفسه، ص 236.

73 – مُحَمَّد بوطيبي: مرجع سابق، ص 88.

74 – مُحَمَّد بوطيبي: نفسه، ص 93.

75 – خير الدين شترة: المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، طبعة خاصة، 2013م، ص 399.

76 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 265.

77 – مُحَمَّد بلقاسم: مرجع سابق، ص 219.

78 – مُحَمَّد بوطيبي: مرجع سابق، ص 33.

79 - jamel haggui: op- cit, p 136.

80 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 271.

81 – مُحَمَّد صالح الجابري: نفسه، ص 271 – 272.

82 – نفسه، ص 272.

83 – عبد القادر عزام عوادي: مرجع سابق، ص 187.

84 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 273.

85 – خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية، مرجع سابق، ص 110 – 111.

86 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، ص 236.

87 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 276.

88 – مُحَمَّد صالح الجابري: نفسه، ص 274.

89 – علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط 1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948م، ص 61.

90 – مُحَمَّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء 3، ص 237.

91 – **وفد الأربعين**: وهو وفد يحتوي على أربعين عضوا يمثلون مختلف طبقات الشعب التونسي أرسله الحزب الحر الدستوري للباي مُحَمَّد المنصف في صيف 1921م، حيث قدموا إليه المطالب الدستورية، وأصبح هذا الوفد يعرف بوفد الأربعين. ينظر: علال الفاسي: مرجع سابق، ص 63.

92 – علي الزيدي: الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904 – 1945، ط 1، مطبعة دار نهى، صفاقص، 2007م، ص 292.

93 – مُحَمَّد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 220.

94 - jamel haggui: op- cit, p 139.